إضاءة

مغالطاتٌ لتسويغ معاداة فلسطين والتضامُن العالمي معها

هيرتا مولر في حفلة الأكاذيب الصهيونية

وفق «منطق» الكاتبة الألمانية الحائزة «جائزة نوبل للآداب»، ما من تفسير للخضب العالمي الهادر في وجه الاحتلال الإسرائيلي سوى بكونه نتيجة لـ«استراتيجية عالمية» تتبعها «حماس» وتُسيطر من خلالها على الأفكار والمشاعر في العالم!

برلين ـ **يزن التميمي**

قبل أيام، نشرت صحيفة «فرانكفورتر الغمانيه» كلمةً للكاتبة الألمانية هيرتا مولر، الحاصلة على «جائزة نوبل للآداب» عام 2009، ألقتها في الخامس والعشرين من أيار/ مايو الماضي خلال منتدىً بعنوان «السابع من أكتوبر»، أقيم في العاصمة السويدية استوكهولم بسبب «التجاوُب العالمي الصادم مع حدث السابع من أكتوبر، وموجة معاداة السامية التي تبعته»، حسب زعم منظميه، وذلك في محاولة لـ«فهم» التغيُّر المفاجئ والمدوّي في الرأي العام العالمي تجاه كيان الاحتلال الإسرائيلي.

دُعيت مولر (1953) إلى المنتدى لتطرح وجهات نظر لعلّها تُفيد الحاضرين في فهم أسباب موجة الغضب الهادرة في وجه الاحتلال، إلّا أنّها تبدو، مثلهم، غير قادرة (أو غير راغبة) على فهم هذه المعادلة؛ فهي تُدرك أنّ «إسرائيل» فقدت الشعبية وتأييد الرأي العالمي، وتُشبّه ذلك بما حدث للمجتمع الألماني أثناء الحُكم النازي، غير أنّها تُفسّر ذلك بمغالطاتٍ مفادُها أنّ هذا التحوّل ليس سوى جزء من «استراتيجية عالمية» تتبعها «حماس»، وتُسيطر من خلالها على الأفكار والمشاعر في العالم!

تنتمي الكاتبة إلى الأقلّية الألمانية في رومانيا، حيث لا يزال عددٌ كبير من الألمان يعيشون في مدن طابعُها المباني. التحق والداها، وهو في السابعة عشرة من عمره، بالجناح العسكري للحزب النازي «إس إس» الذي أصبح جزءاً من الجيش الرسمي بعد صعود النازية إلى سُدّة الحكم في ألمانيا، وقد استخدم والدها خبراته في سلاح المدرّعات ليعمل بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سائقاً لشاحنات الثقيلة، بينما كانت والدتُها لا تزال معتقلةً في معسكرات عمل سوفييتية في أوكرانيا، أجبر ستالين مواطنين ألماناً على العمل فيها بعد هزيمة بلادهم في الحرب.

ربما بسبب هذه الخلفية التاريخية المعقّدة، اختارت مولر عبارة باول سيلان «لا أستطيع تخيُّل العالم دون إسرائيل» عنواناً لكلمتها؛ فغالبية الكتّاب والمفكّرين الألمان فضّلوا، على مدى عقود طويلة، تفادي مراجعة تاريخهم الشخصي والعائلي والعام مع اليهود واليهودية، وراوا أنّ وجود دولة يهودية تحظى بالدعم الأوروبي الكامل وغير المشروط هو الحلّ النهائي لهذا التاريخ.

وعلى هذا الأساس، تزعم الكاتبةُ أنّ ما يحصل الآن من انقلاب عالمي ضدّ «إسرائيل» سببُه محاولة «حماس» ومؤيّديها «إثارة» فوضى مفاهيمية»؛ حيث تدّعي أنّ هؤلاء «يزعمون أنّ إحياء ذكرى الهولوكوست ليس سوى سلاح ثقافي لإضفاء الشرعية لمشروع الغرب الأبيض الاستعماري: إسرائيل»، لتضيف أنّ هذه المقولة – التي تنسبها إلى «حماس» – «تقلب دور الضحية والمجرم»، و«تجعل من إسرائيل نموذجاً استعمارياً، بعد أن كانت الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط».

تقتبس هيرتا مولر مقولةً للكاتب الألماني توماس مان بأنّ «النازية جعلت العالم لا يطيق كلّ ما هو ألماني»، لتُسقطها على ما يحدث اليوم من انقلاب في الرأي العام العالمي ضدّ «إسرائيل» بالقول إنّ «استراتيجية حماس اليوم هي أن تجعل كلّ ما هو إسرائيلي - وبالتالي كلّ هو ما يهودي – أمراً لا يُطاق»، وهو كلامٌ يتضمّن مغالطة مفضوحة جدّاً؛ إذ ما يجعل كلّ ما هو إسرائيليٌّ منبوذاً هو «إسرائيل» نفسُها التي تُشبّهها الكاتبة (دون وعي منها) بالنازية.

فإذا كان ما جعل الألمان مكروهين أثناء الحرب العالمية الثانية هو النظام الألماني الحاكم والآلة الحربية التي أرادت السيطرة على أوروبا، وزعمت أنّ الألمان عنصرٌ بشري نقيّ ومتفوّق، وأيضاً انخراط غالبية الألمان في الدعاية النازية أو السكوت عنها، فإنّ انقلاب الرأي العام على «إسرائيل» سببُه جرائم الإبادة - التي يرتكبها قادة الكيان وتؤيّدها غالبية الإسرائيليّين - بحقّ الفلسطينيّين على مرأى العالم ومسمعه.

احتفت صحف ألمانية معادية للإسلام ومحرّضة على اللاجئين بكلمة، مقال مولر. ومن بينها صحيفة «بيرلد» التي قالت إنّ «على كلّ الألمان قراءته»، مضيفةً أنّ المقال يمثّل «نداء إيقاظ» ردّاً على «الجنون الذي استبدّ بأجزاء كبيرة من المجتمعات الغربية». تلقّفت الصحيفة عبارات افتتحت بها الكاتبة كلمتها، وتضمّنت اتّهامات للمدنيّين في غزّة بالمشاركة الفعالية في هجوم السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر والاحتفاء به، مضيفة أنّ هذه الفرحة بالهجوم امتدّت حتى برلين، حيث «رقص الفلسطينيون فرحاً ووزّعوا الحلوى»، في إشارة إلى توزيع حلوى في «شارع العرب» بحيّ نوي كولن البرليني، والتي تناولها الإعلام الألماني بكثير من التضخيم ولا يزال يُردّدها بشكل شبه يومي. لم تبخل الكاتبة على هذه الصحيفة وغيرها من العنصريّين بعبارات وتشبيهات تتضمّن تحريضاً مباشراً على كلّ المسلمين، فبدل أن تبحث حقّاً في السبب الذي جعل العالم كلّه ينقلب على «إسرائيل»، راحت تورد اقتباسات بالجملة من دون مصادر، وعبارات تدّعي أنّها متداولةٌ بين الفلسطينيّين وحلفائهم وبالأخصّ إيران. ولأنّها تعرف أنّ قرّاءها سيأخذون كلامها باعتباره حقيقة ثابتة، لم تبذل مجهوداً لتمحيص أو تدليل.

لا تتحدّث مولر عن الإسرائيليين إلا بوصفهم يهوداً، ولا ترى دافعاً للاعتراض على سياسات الكيان الإسرائيلي وإجرامه إلّا «كراهية اليهود والرغبة في إبادتهم»، والتي يلعب الإسلام، وفق زعمها، دوراً أساسياً فيها؛ إذ إنّ «الهوّة العقدية بين السنة والشيعة يجري تجاوُزها حين يتعلّق الأمر بكراهية اليهود. جنون الحرب يعلو فوق كل شيء».

أمّا جرائم الإبادة الإسرائيلية في غزّة، فلا تكتفي مولر بتحميل مسؤوليتها لهجوم السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر، بل لا ترى فيها جرائم من الأساس. إنّها، في نظرها، مجرّد «خطوات طبيعية موجّهة لتدمير دولة كارهي اليهود» العميقة، المكوّنة من شعب شريك في الجرائم»؛ إذ لا يستطيع المرء في غزّة التفريق بين العسكري والمدني. وهذا لا ينطبق على المباني فحسب، بل على العاملين داخلها أيضاً. وهنا تُردّد الكاتبة أكاذيب الاحتلال بأنّ عمال المنظمات العالمية متعاونون مع «حماس» أو أعضاء فيها، وأنّ «إسرائيل» دخلت الحرب مجبرة، وأنّ المباني في المناطق التي يسيطرون عليها.

هيرتا مولر في برلين، 8 تشرين الأوّل/ أكتوبر 2009 (Getty)

> عباراتٌ وتشبيهات تتضمّن تحريضاً مباشراً على كلّ المسلمين
>
> تتجاهل أنّ ما يجعل الإسرائيليّ منبوذاً هو «إسرائيل» نفسُها

هذا كان فخّاً من «حماس»، لتستدرك بعبارة شديدة الغرابة: «إسرائيل لم تقع في الفخّ، بل أُجبرت على دخوله».

وأمّا الصور الصادمة لمئات الآلاف من الضحايا في غزّة، فهي، حسب تعبيرها، تصل إلى العالم «بإخراج حماس»: «رؤية البؤس بشكل يومي تُشعرنا بالإرباك، وحماس تتحكّم في اختيار الصور الخارجة من غزّة، وهي بهذا تتحكّم في مشاعرنا. المشاعر اليوم هي السلاح الأقوى ضدّ إسرائيل».

تقول ذلك بينما كانت تقتبس حكايات من كتاب «رجال عاديون» للكاتب كريستوفر براونينغ، ترى فيها توصيفاً لما حدث يوم السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر، وتزعم أنّها لا تتوقّف عن التفكير بهذا الكتاب منذ ذلك اليوم، بينما هو في الحقيقة يسرد قصصاً وحوادث هي طبق الأصل عمّا نراه اليوم من جرائم جيش الاحتلال الإسرائيلي في غزّة؛ حيث يورد الكاتب حكايات مدنيّين ألمان لم يقبلهم النازيون جنوداً، فتطوّعوا للمشاركة في إبادة كلّ من هو ألماني في المناطق التي يسيطرون عليها.

يذكر الكاتب مثلاً قصّة متطوّع يحتفل بزواجه فوق قرى يهودية مدفرة حتى آنسخ فستان زوجته الأبيض بدماء الضحايا، وذلك بشبه الصور والفيديوهات التي نشرها جنود الاحتلال الإسرائيلي وهُم يتقدّمون على الطلّاب الذي يُخيّمون ويتظاهرون دعماً للشعب الفلسطينيّين وتنديداً بجرائم الاحتلال؛ فهُم «فقدوا القدرة على التمييز بين ما هو ديمقراطي وما هو ديكتاتوري»، لأنّهم يتظاهرون دعماً لـ«مجتمع ديكتاتوري لا يؤمن بحقوق المثليّين» مستدلّةً، هنا، بإحصائية من دون مصدر تزعم أنّ 99% من الفلسطينيّين يرون أنّ المثلية ظاهرة غير أخلاقية.

أمّا عن دوافع هؤلاء الطلاب وما يحرّكهم، فهي ترى أنّهم «ضحايا لمقاطع تيك توك»، وتتساءل إن كان شباب هذه الأيام يملؤون رؤوسهم بشيء غير تيك توك؟ (هل من الصدفة أن تذكر الموقع الصيني ولا تذكر مواقع أميركية؟) وهنا تضيف أنّ مصطلحات «فولور» و«إنفلونسر» و«ناشط» ليست سوى تمظهرات حديثة للتابعية والعمالة والنشاط السياسي، كما كانت منتشرةً في ظلّ الحكومات الشيوعية أو الفاشية، مدّعية بذلك أنّ هؤلاء الشباب ضحايا لعملية غسيل دماغ ممنهجة تقودها «حماس».

تحدّثت الكاتبة السبعينية في قاعة يتّفق كلّ من فيها مع ما تطرحه من دون نقاش ولا مراجعة، تتحدّث عن الشباب لا إليهم، تقتبس من كتّاب آخرين من دون إثبات لصحّة المقارنة ولا منطقية الاستدلال، ثم تنشر كلمتها لتحتفي بها صحف معروفة بأجنداتها وخطابها المعادي للعرب والمسلمين، تعيد تدوير لغتها العنصرية وتنميطها الفجّ، بينما يُمنع الشباب من اتّخاذ طريق مغاير وتشكيل زمن أكثر إنسانيةً وتضامناً عالمياً.

والاختيار الحرّ لما يؤيّده ويراه صحيحاً، وعدم الخوف من رفع صوته بتأييد ما يشاء أو التنديد بما يشاء، على عكس الديكتاتورية التي يصبح فيها الفرد الحرّ والمفكّر معادياً للمجموع وخطيراً على المجتمع.

لكنّ هذا التنظير لا ينطبق، في عقل مولر، على الطلّاب الذي يُخيّمون ويتظاهرون دعماً للشعب الفلسطينيّين وتنديداً بجرائم الاحتلال؛ فهُم «فقدوا القدرة على التمييز بين ما هو ديمقراطي وما هو ديكتاتوري»، لأنّهم يتظاهرون دعماً لـ«مجتمع ديكتاتوري لا يؤمن بحقوق المثليّين»، مستدلّةً، هنا، بإحصائية من دون مصدر تزعم أنّ 99% من الفلسطينيّين يرون أنّ المثلية ظاهرة غير أخلاقية.

أمّا عن دوافع هؤلاء الطلاب وما يحرّكهم، فهي ترى أنّهم «ضحايا لمقاطع تيك توك»، وتتساءل إن كان شباب هذه الأيام يملؤون رؤوسهم بشيء غير تيك توك؟ (هل من الصدفة أن تذكر الموقع الصيني ولا تذكر مواقع أميركية؟) وهنا تضيف أنّ مصطلحات «فولور» و«إنفلونسر» و«ناشط» ليست سوى تمظهرات حديثة للتابعية والعمالة والنشاط السياسي، كما كانت منتشرةً في ظلّ الحكومات الشيوعية أو الفاشية، مدّعية بذلك أنّ هؤلاء الشباب ضحايا لعملية غسيل دماغ ممنهجة تقودها «حماس».

تحدّثت الكاتبة السبعينية في قاعة يتّفق كلّ من فيها مع ما تطرحه من دون نقاش ولا مراجعة، تتحدّث عن الشباب لا إليهم، تقتبس من كتّاب آخرين من دون إثبات لصحّة المقارنة ولا منطقية الاستدلال، ثم تنشر كلمتها لتحتفي بها صحف معروفة بأجنداتها وخطابها المعادي للعرب والمسلمين، تعيد تدوير لغتها العنصرية وتنميطها الفجّ، بينما يُمنع الشباب من اتّخاذ طريق مغاير وتشكيل زمن أكثر إنسانيةً وتضامناً عالمياً.

بعيداً عن أيّ منطق

في سياق الزعاجها من التضامن العالمي مع فلسطين، تصبّ الكاتبة السبعينية جام غضبها على الطلّاب المتظاهرين في الجامعات الغربية تنديداً بجرائم الاحتلال الإسرائيلي؛ فتقول إنّهم «فقدوا القدرة على التمييز بين ما هو ديمقراطي وما هو ديكتاتوري لأنّهم يتظاهرون دعماً لمجتمع ديكتاتوري»، ثمّ تصفهم تارةً بأنّهم «ضحايا لمقاطع تيك توك»، وأخرى بأنّهم «ضحايا لعملية غسيل دماغ ممنهجة تقودها حماس».

صوت جديد

ملامح مشتركة في طريق طويلة وشاقّة

إيمان جبل

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

القاهرة ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادة على غزّة؟

حينما بدأت الحرب الأخيرة على غزّة، تبدّلت نظرتي إلى الكتابة لدرجة قلبت عالمي الداخلي. لأوّل مرّة في حياتي شعرتُ بلاجدوى الكلمة. لم أتوقّف عن الكتابة قطّ، لم أتوقّف عن الكتابة حتى في وقت الحرب. لكن مع كلّ كلمة كتبتُها منذ تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي كانت اللاجدوى، اللاقيمة، العبث والعدمية؛ تُسيطر على روحي. إذ طُلب منّي وقتها المشاركة في كتاب جماعي عن غزّة، فشاركت بقصائد نثرية، مع مقدّمة الكتاب التي كانت جزءاً من تجربة شخصية مررتُ بها. بعدها، لم يُفارقني الشعور بأنّ هذه كتابة خائبة، وأنّ الصدق وحده ليس كافياً... هل يكفي أن أكون صادقة لأقف أمام موت أخي؟ بعدها واصلت الكتابة بهاجس مُرعب لا أعرف حتى الآن كيف أتخلّص منه؛ هاجس النهاية.

■ كيف تفهمين الكتابة الجديدة؟

ما يجعلني أحبّ الكتابة؛ قدرتها على تحوير نفسها في كلّ تجربة أقبل عليها، والعدد اللانهائي من الاحتمالات التي يُمكن من خلالها تطويع فكرة واحدة. وما يجعلني أستمرّ في الكتابة هو التطلّع إلى خَلْق معالجة جديدة في كلّ مرّة من دون أن أحرق تجربتي.

■ هل تشعرين نفسكِ جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

في مصر يصعب تعريف هذه التركيبة «جيل أدبي»، فالعملية غير منظّمة وغير محكومة بمعايير، والملامح التي تتكشّف ضبابية، وغير موزونة. لكن بالنسبة إليّ وإلى تجربتي، صادفني الحظّ في أن أكون جزءاً من دائرة صداقة تجمعني بكتّاب وشعراء من نفس جيلي الإنساني والأدبي. والملامح التي أعرفها جيّداً لنا كدائرة ضيّقة هي خطواتنا ومحاولاتنا المستمرّة في الفشل والنجاح. قبل أن تكون ملامحَ للكتابة، هي ملامحُ الطريق نفسها، الطريق الطويلة والشاقّة التي تهوّنها الحماسة المشتركة داخل الكتابة وخارجها. اتكلّم عن تجربة فردية، وليس عن ظاهرة، تجربة إنسانية تتكافأ فيها كلّ المقوّمات، ومعيارها الوحيد هو السعي العادل نحو الفرصة. ما أريد قوله هو أنّنا نحاول أن نوجد داخل التجربة الفردية وداخل مجموعتنا الضيّقة التي لا تعي شيئاً داخل المعيارية الكبرى التي تحكم مشهد توزيع حسبة الأجيال تلك. ربّما بعد سنين، بعد التخلّص من الغضب والكثير من الجهد المهدور، سأتمكّن من الوقوف على مفهوم «الجيل»، وأتمكّن أيضاً من تمييز ملامحه بشفافية.

■ كيف هي علاقتكِ مع الأجيال السابقة؟

علاقتي مع الأجيال السابقة جيّدة، وقد تكوّنت الروابط بفعل الكتابة وحدها. سواء من خلال الاحتكاك بتجارب الأجيال السابقة، أو من خلال تقديم تجربتي الشخصية، وتفاعلها بشكل أو بآخر مع التجارب الإنسانية والأدبية لكُتّاب آخرين في أجيال متفاوتة. بإمكاني القول إنّ تجربة الكتابة قدّمتني كاتبةً وإنسانة بشكل معقول بين الأجيال الأدبية المختلفة.

■ كيف تصفين علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

في الواقع، أنا أكتب من دون أن أتورّط مع واقع البيئة الثقافية. ولكن مع كلّ تجربة جديدة تنشأ رابطة بين التجربة نفسها وبين البيئة. أحبّ متابعة الرابط الناتج من مسافة كبيرة من دون أيّ محاولة للاقتراب. أفضّل أن أكتب فقط، والكتابة وحدها تقوم بدورها في الاحتكاك والتشابك مع البيئة.

■ كيف صدر كتابُك الأول وكم كان عمرك؟

صدر كتابي الأوّل «من يُنقذ بحيرة البجع؟» في صيف 2021، وكان عمري حينها 30 عاماً.

■ أين تنشرين؟

نشرت مجموعتي القصصية «من ينقذ بحيرة البجع؟» ورواية «قيامة تحت شجرة الزيتون» مع «دار الوردة». وحاليّاً يُعاد إصدار العملين من جديد تباعاً في مشروع نشر اسمه «البدايات» مع «دار كتوبيا». نشرت مجموعتي القصصية «لا أحد ينجو من أنا فونتينا» في «دار دوّن»، وديوان «كلّ هذا الدفء في عيني مريم» في «دار المحرّر».

> الحرب على غزّة غيّرت نظرتي إلى الكتابة وقلبت عالمي

■ كيف تنظرين إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُترجم أعمالك؟

أقدّس الترجمة والمترجم الذي ينقل نصّاً أو كاتباً أحبّه إلى لغتي. أحبّ الترجمة الحسّاسة الذكيّة التي لا تجعلني أشعر بالانفصال عن النصّ المترجَم. ولديّ رغبة كبيرة في أن تُترجم أعمالي بالطبع.

■ ماذا تكتبين الآن وما هو إصدارك القادم؟

حالياً أكتب رواية، وإصداري القادم رواية أيضاً، وقبلها ربما يُعاد إصدار مجموعة «من ينقذ بحيرة البجع؟» ضمن «مشروع البدايات»، حسب الخطّة الزمنية للنشر، والمسافة المتاحة بين مشروع وآخر.

■ كيف تقرئين وكيف تصفين علاقتكِ مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

أقرأ بشكل مجنون أحياناً، وبشكل متّزن وهادئ في أحيان أخرى. أمّا علاقتي مع القراءة فهي منهجية ومخطّطة وعفوية وعشوائية. علاقتي مع القراءة تحمل كلّ الأوجه الممكنة، أقرأ في كلّ الأحوال وبكلّ الطرق. في البدء كنت أخاف من هذه الطريقة، أخاف أن تؤثّر سلباً على كتابتي. لكن مع الوقت بدأتُ أحتها لأنّها تشحن دماغي بطريقة ما، وتحرّضني على الكتابة، ولم أعد أحمل همّ تغيير عاداتي فيها.

■ هل تقرئين بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

أقرأ بالإنكليزية بجانب العربية، وأتمنّى تعلّم لُغات أخرى لأعاين الأدب بنفسي من دون وسيط الترجمة.

■ ما نشرتين بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

أقرأ بالإنكليزية بجانب العربية، وأتمنّى تعلّم لُغات أخرى لأعاين الأدب بنفسي من دون وسيط الترجمة.

■ كيف تنظرين إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُترجم أعمالك؟

أقدّس الترجمة والمترجم الذي ينقل نصّاً أو كاتباً أحبّه إلى لغتي. أحبّ الترجمة الحسّاسة الذكيّة التي لا تجعلني أشعر بالانفصال عن النصّ المترجَم. ولديّ رغبة كبيرة في أن تُترجم أعمالي بالطبع.

■ ماذا تكتبين الآن وما هو إصدارك القادم؟

حالياً أكتب رواية، وإصداري القادم رواية أيضاً، وقبلها ربما يُعاد إصدار مجموعة «من ينقذ بحيرة البجع؟» ضمن «مشروع البدايات»، حسب الخطّة الزمنية للنشر، والمسافة المتاحة بين مشروع وآخر.

إيمان جبل

بطاقة

كاتبة مصرية من مواليد عام 1990. صدر لها في القصّة: «من ينقذ بحيرة البجع؟» (2021)، و«لا أحد ينجو من أنا فونتينا» (2022)، وفي الرواية: «قيامة تحت شجرة الزيتون» (2022)، و«لعبة البيت» (2023)، وفي الشعر: «كلّ هذا الدفء في عيني مريم» (2024).

قصيدة

تركض حافيةً في غزّة

أنا

> «أنا»، فقدتْ قلبها، سرقه الذين يرتّتون كتفها ويقبّلون جبينها. اخذوه إلى مسابحهم المذهّبة. قالوا لها لا تخافي، سنعيده إليكِ: ساطعاً كالشمس

عاشور الطويبي

«أنا»،
تركض حافية في غزّة،
تقف أمام ركام حجارة، تقول:
هنا كان بيتي،
ثمّ تمضي، تقطع شوارع تهدّم كلّ ما كان
على جوانبها من عمارة وبنيان.
تشير إلى قذيفة كتب عليها:
المطّلون،
الرؤساء،
النوّاب،
والتلاميذ:
لبكن ريمكم سديداً
وقتلاكم بلا حصر.
ثمّ تلتفت إلى نافذة محطّمة،
كانت تقف وراءها صبيّة؛
تسمع فيروز،
وتسقي بنسيم بحر غزّة حبقها الفوّاح.

«أنا»،
تحدّق في وجوه الهاربين من
جحيم نازل من السماء،
فلا تجد أحداً تعرفه،
بل لم يعد للوجوه هيئة الوجوه.
أقدامٌ تركض إلى لا أين،
لا تصحبها صرخات
لا تعقبها صرخات.
الموت بلا قلب،
القتلى بلا ملامح!

«أنا»،
تشتهي: حبّة طماطم، حبّة فراولة، كسرة
خبز، رائحة شواء، لعقة سكّر، رشفة لبن،
ملعقة مرق، ملمس الزبدة، بيضة مسلوقة،
سباتاً لا يقطعه هلع، قميصاً لا يعلوه
التراب والبارود، سريراً يشرشف نظيف،
شبشب حمّام بالوان زاهية، سقفاً، حيطاناً،
طاولة وكرسيّاً، باباً ومفتاحاً، شموع أعياد
ميلاد، مشاهدة مباراة كرة قدم، الجلوس
في المقهى بلا خوف، الصلاة في مسجد
أو كنيسة، الضحك، الضحك الذي لا يشبه
البكاء، الذهاب إلى المدرسة، الرجوع من
المدرسة، الشجار مع الجيران، مخالفة المرور،
شرب الشاي بالمريمية، أكل البيتزا الساخنة،
ركوب الحافلة، انتظار حبيبة القلب، نشر
الغسيل على سطح البيت، العودة من السوق
الأسبوعي...

«أنا»،
فقدتْ قلبها،
سرقه الذين يرتّتون كتفها
ويقبّلون جبينها.
أخذوه إلى مسابحهم المذهّبة.
قالوا لها لا تخافي، سنعيده إليك:
ساطعاً كالشمس،
نظيفاً من الخطايا.
سنُطعمه الكافيار والشوكولاتة الفاخرة.

«أنا»،
أينما وقفتْ،
ليلاً أو
نهاراً،
يطعنها سجّان،
ويقطع رأسها قاتل ومرتزق.
كلّما وضعوا الأصفاد حولها،
ارتفعت أصوات المحلّلين وأصحاب النياشين.
الملوك،
والأمراء،
والشيوخ،
والرؤساء،
يحبّونها، لكنهم يسجنون
كلّ من يرفع رايتها
أو يرتدي كوفيتها.

«أنا»،
رمت جملها،
كانت الأرض من طين تنتظر بذورها.
نبتتْ واخضرّتْ وازهرت وطرحت ثمارها
على سهول مروية
بالدم.

(شاعر من ليبيا)

طفلان فلسطينيان على درّاجة في حديقة عامّة بمدينة غزّة، كانون الأوّل/ ديسمبر 2022 (Getty)

فعاليات

تُقدّم الفنّانتان والمعمارتّان الفلسطينيّتان **رغد سقف الحيط** و**اريج الأشهب** ورشةً في بناء الخابية من الطّين، ضمن مشروعهما **بين جير وطين**، الذي تُنظّمه «ساقية» بين العاشرة صباحاً والثالثة من مساء اليوم السبت في قرية عين قينيا قرب رام الله. تهدف الورشة إلى التفكير بمسألة السيادة على الغذاء.

من فعاليات معرض **لا تتوقّفوا عن الرسم: يوميّات مرنيّة للتضامن مع غزّة** للفنّانة **جنى طرابلسي** والمُقام في «مسرح المدينة» ببيروت، يلتقي مصوّر الحروب **بلال خالد** بالطبيب الفلسطيني **غسّان ابو ستّة** في حوارية تُعقد عند السادسة والنصف من مساء غدٍ الاحد، يتناول فيها ابو ستّة وضع القطاع الصحّي في غزّة في ظلّ الإبادة، ومنعَ الدخول الذي تعرّض له من قبل دول اوروبية.

كُلّنا سندباد: دوائر الرحلة والكتابة عنوان ورشة للكتابة الإبداعية يُقدّم الكاتب والمترجم المصري **محمّد عبد النبي** أوّل حلقاتها ابتداءً من الرابعة من مساء اليوم السبت، بتنظيم من «مكتبة البلد» في القاهرة. تُقام بقيّة الحلقات أيام 15 و22 و28 حزيران/ يونيو الجاري.

عند السابعة والنصف من مساء 29 الشهر الجاري، يُناقش «نادي تكوين للكتاب» في مقرّ المكتبة بالكويت العاصمة (فرع الشويخ) رواية **إهانة غير ضرورية** للكاتب السعودي **إياد عبد الرحمن**. يتناول العمل التضحية بالذكورة لأسباب دينية، من خلال قصّة طفل اثيوبي يُرغم على الانضمام الى «اغوات» المدينة المنوّرة.